

معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) بين التأصيل والكوديكولوجيا
المقلدة.

*A Dictionary of Arabic Manuscript Terms (Codicological Dictionary)
between originalité and the imitation codecology.*

د. بلقاسم منصوري

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج-بوعريش،

(الجزائر)

belkacem.mansouri@unv-bba.dz

تاريخ القبول: 2022/06/09 النشر: 2022/11/16

تاريخ الاستلام: 2022/01/21

ملخص:

يقف الباحث، قارئاً وناقداً لواقع مصطلحات المخطوط العربي؛ إذ إنّ ما تفخر به أمة القرآن ما أودعه المؤلفون عبر العصور أسفاراً كتبوها بأيديهم، ثمّ النساخ الذين نقلوها من بعدهم، فعلم المخطوط يشمل محتوى العلم المودع فيه، وإنتاج المخطوط في شكله ومادته، ولكلّ علم مصطلح يعبر عن مفاتيحه على قدر رقي هذه الصناعة وتطورها، وما لفت الباحث معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) للباحثين أحمد شوقي بنين، ومصطفى طوي، حيث استغلا علومًا عدّة، كالفقه وأصوله، والحديث والتفسير ومختلف العلوم الحديثة، واعتمدا إجراءات المناهج الغربية في صناعته؛ حيث إنّ الباحثين لم يدركا أن المعرفة دون منهج هي عبارة عن ركام من الإجراءات المفككة. ويرجع هذا إلى طغيان مصطلحات لا تمت بصلّة لعلم المخطوط، إضافة إلى احتواء المعجم مصطلحات تحتاج إلى إعادة التعريف، كل هذا أفقد المعجم منهجيته، وانعكس عليه سلبيًا مما جعله يتّصف بالبساطة والإسقاط العشوائي لمفاهيم العلوم الأخرى، وافتقد للدقة الموضوعية العلمية، وبقي بعيداً عن الإبداع المنهجيّ الأصيل الذي عرفه التراث.

الكلمات المفتاحية: معجم؛ مصطلح؛ مخطوط عربي؛ كوديكولوجيا؛ صناعة معجمية.

Abstract :

The researcher stands as a reader and critic of the reality of the Arabic manuscript terms; What the nation of the Qur'an is proud of is what authors, over the ages, deposited in books that they wrote with their own hands, then the scribes who transmitted them after them. The science of the manuscript includes the content of the science deposited in it, and the production of the manuscript in its form and material. What drew the researcher to the dictionary of the terms of the Arabic manuscript (Codicological Dictionary) by researchers Ahmed Shawky Benbin and Mustafa Tobi, where they took advantage of several sciences, such as jurisprudence and its origins, hadith, interpretation and various modern sciences, and adopted procedures Western curricula in its industry; As

the researchers did not realize that knowledge without a curriculum is a pile of disjointed procedures. This is due to the predominance of terms unrelated to manuscript science, In addition to containing the lexicon terms that need to be redefined, all of this lost the lexicon of its methodology and reflected on it negatively, which made it characterized by simplicity, and the random projection of concepts of other sciences, and lacked accuracy and scientific objectivity, and remained far from the original methodological creativity that the heritage knew.

KeyWords: Lexicon; Term; Arabic manuscript; Codicology; Lexical industry.

المقدمة: لقد توخيت من خلال دراستي هذه أن أسهم في تقويم الصنّاعة المعجمية لعلم المخطوط، وأبين أهميتها خاصة وأنّ الساحة العربية تعرف شحاً كبيراً في المعاجم المتخصصة التي تعنى بعلم المخطوط، وإن وُجدت رغم قلّتها فهي تغرق المشتغل بالمخطوط بقدر ما توجهه، وتسهّل عليه الوصول لمواده، أضف إلى ذلك غياب قواعد منهجية واضحة يتكئ عليها صنّاع مثل هذا النوع من المعاجم، وقد وقع بين يديّ **معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) لأحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي**، فارتأيت أن أدرسه دراسةً وصفيةً تحليلة باعتبار المعجم الوحيد في الوطن العربي الذي حاول ضبط مصطلحات علم المخطوط العربي، أو كما يسميه صاحبه (**كوديكولوجيا عربية**). ومن هذا المنطلق تروم هذه الورقة المتواضعة أن تثير الإشكال الآتي: إلى أي مدى تمكن الباحثان من توظيف علمي للمفاهيم العلمية بعيداً عن الإيديولوجيا؟ وماهي الانزلاقات المنهجية التي وقعوا فيها؟ وإلى أي مدى استطاعا تلقيح معجمهما بمستجدات العتاد المنهجي والمفاهيمي المعاصر؟

ولما كانت دراستي تنتزل في سياق نقديّ للمعجم، فإنّها تهدف أساساً إلى تقويم الصنّاعة المعجمية لعلم المخطوط العربي، الذي بقي مجالاً خصباً للبحث فيه وإنجاز معاجم وظيفية أكثر ترتيب وانسجام، تخدم الباحثين في مجال تحقيق المخطوط، وتختصر عنهم الجهد والوقت.

1. قراءة في ضبط مصطلحات عنوان المعجم:

إنّ القارئ لمقدمة معجم المخطوط العربي، يكتشف أنّ مؤلّفه يعترفان بخلو الساحة العربية من مثل هذه الدراسات، رغم إقرارهما بضرورة وصعوبة اقتحام هذا المجال من قبل الدارسين في آن واحد، كما لا ينكران اتكأهما على علم المخطوط في الغرب، واعتمادهما أساساً في بناء معجمهما على كتاب (تقاليد المخطوط العربي) معجم مصطلحات وببليوجرافية (**The arabic manuscript tradition- a glossary of tichnical terms and bobliography**) **لآدم جاسك (Adam Gacek)**، باعتباره الكتاب الوحيد الذي احتوى على مصطلحات هذا العلم، رغم اعتراف صاحبه بأنّه لا يعكس حجم المخطوطات العربية، وغنى الثقافة العربية الإسلامية على امتداد أربعة عشر قرناً من التدوين، ويشيد فيصّل الحفيان مترجم كتاب جاسك بكتاب تقاليد المخطوط العربي، ويعدّد محاسنه فيما يلي (آدم جاسك، تر: مراد تدغوت، 2010، ص9-10):

- الكم الكبير من المصطلحات التي احتواها.
- البناء المتميز الذي تجلّى في طريقة عرض المادة، من أول مصطلح حتى آخر مصطلح.
- الاستقصاء وفق ثلاثة مستويات (مستوى الصّور، مستوى التّرادف، مستوى المعاني).
- الحرص على التّوثيق متمثلاً في الاقتباسات الكثيرة من المصادر العربيّة الأصيلة.
- الربط بين المصطلحات المترادفة من خلال نظام دقيق للإحالات.
- لغة مناسبة للعمل المعجمي.

ويؤكّد جاسك أنّه واجه بعض الصعوبات أثناء وضع كتابه، منها أنّ بعض المصطلحات بعيدة عن التّداول وجاءت في سياقات غامضة، وبعضها الآخر قليل الاستعمال، إضافة إلى بعض الكلمات التي لا يوجد مقابل لها في اللّغة الإنجليزيّة، كما لجأ إلى استخدام الخطّ العربيّ عند الضرورة.

1.1. بين معجم مصطلحات المخطوط وقاموس كوديكولوجي:

بدءًا فإنّ القارئ لعنوان المعجم يجد تردّدًا من قبل المؤلفين في نعت معجمهما، فهو معجم مصطلحات المخطوط العربي، مع إضافة عنوان فرعيّ (قاموس كوديكولوجي)، وما يمكن تسجيله في هذا العنوان مايلي:

- إذا كان المعجم عبارة "عن كتاب يضمّ أكبر عدد من مفردات اللّغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتّبة ترتيبًا خاصًا، إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع" (عبد الحميد محمد أبو سكين، 1981، ص8)، فإنّ القاموس يختلف عنه؛ إذ إنّ تسميته تقتزن بأشهر معجم عربيّ وهو القاموس المحيط للفيروز آبادي ويعني به البحر، ولكثرة تداوله بين الناس أصبح يرادف كلمة معجم، وجاء في لسان العرب قَمَسَ الرِّجْلُ فِي الْمَاءِ إِذَا غَابَ فِيهِ، وَقَمَسَتِ الدَّلْوُ فِي الْمَاءِ إِذَا غَابَتْ فِيهِ، وَالْقَامُوسُ وَالْقَوْمَسُ: قَعْرُ الْبَحْرِ، وَقِيلَ: وَسَطَهُ وَمُعْظَمَهُ (جمال الدّين ابن منظور، 1998، ص3739).

ولعلّ هذا الارتباك في العنوان استُدرِك في الطبعة الرابعة لعام (2011)؛ حيث صدر بعنوان آخر وهو (مصطلحات الكتاب العربيّ المخطوط - معجم كوديكولوجي)، فحذفت كلمة المعجم، وعض المخطوط العربيّ بالكتاب العربيّ المخطوط.

ويمكن رصد مجموعة من الخصائص التي ينبغي أن تتوفر عليها المعاجم العامّة والمتخصّصة، والنّظر إلى العمل المعجميّ نظرة لسانيّة عصريّة، ومن بين هذه الخصائص (محمد رشاد الحمزاوي، 1986، ص55-56):

- التّركيز على ما يحتاجه مستعمل المعجم؛ إذ لا يُعتدّ بكثرة أو قلّة عدد الكلمات.
- اختيار الكلمات يكون وفق النّظر إليها من حيث الكلمات العادية، الكلمات العلميّة والتقنيّة، الكلمات الأجنبيّة (المعرب والدخيل) أصل الكلمة، الغريب.
- تعريف الكلمات وترتيب المعاني.
- الاستشهاد.

- أصول الكلمات وتاريخها.
- رسم الكلمات وإملاؤها.
- النطق بها نطقًا نحويًا.

2.1 . مصطلح المخطوط العربي في المعجم:

إنّ استعمال كلمة العربيّ (علم المخطوط العربي) وكأته يسعى خلف التقسيم الجغرافيّ، وهذا يخالف طبيعة المخطوطات التي أنتجت في أماكن متفرقة، "وإنّ تعريفًا يأخذ بعين الاعتبار اللّغة سيكون غير صحيح، أو على الأقل سابقًا لأوانه، ففي الواقع إن لم يكن مستبعدًا، أن يتّضح في يوم علم المخطوطات الفارسيّة أو التركيّة العثمانيّة، فيجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ثنائية (وحتى ثلاثية) عدد من النّساح، فكيف نتمكّن حينئذٍ من وضع حدود دقيقة" (فرانسوا ديروش، 2005، ص62)، ولهذا فإنّ اقتراح لفظة عربيّ يقصي جهود الأقوام الأخرى من غير العرب الذين ساهموا في حفظ المخطوطات التي وصلتنا، وتناقلوها فيما بينهم، وإن سلّمنا بهذا الاقتراح فقد يكون من باب الحرف الذي كتب به وهو الحرف العربيّ.

وينبّه عبد الستار الحلوجي إلى أنّ وصف المخطوط بأنّه عربي، يقصد بها عروبة اللسان وليست عروبة الجنس، "فكلّ كتاب كتب باللّغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، والتي تنطق بها الشعوب العربيّة في كلّ مكان حتى يومنا هذا، يعدّ كتابًا عربيًا بغض النّظر عن الأصول العرقيّة لكتابه، وبصرف النّظر عن المكان الذي أُلّف فيه" (عبد الستار الحلوجي، 2004، ص9)، فالكثير ممّن أُلّف في علوم العربيّة، والفقه والتفسير، والحديث غير عرب باعتبار الجنس، وإتّما جمعهم اللّغة العربيّة، فالبخاري وسيبويه والجرجاني وغيرهم، ليسوا عربيًا ولكن مخطوطاتهم صنّفت ضمن المخطوطات العربيّة.

وإنّ حصر العربيّ في عنوان المعجم (المعجم العربيّ) يفنّده محتوى المعجم الذي يشمل مصطلحات علم المخطوط الفرنسية (الأسكاتوكول - L'eschatocolle) وهي آخر فرخ من لفافة البردي، وهي التي يلصق عليها قضيب، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص37)، والفارسية (الأسكدار، الأشكز) والأسكدار: مدرج يكتب فيه جوامع الكتب المنفذة للختم، من مثل الأسكدار الذي يشمل على عدد من الكتب والخرائط وأسماء أربابها، الأشكز: ضرب من الأدم أبيض وقال الميداني خيوط بيضاء من الجلد، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص37)، والتركيّة (البصمة L'toffe، نوع من القماش) واليونانية (الأبوغراف - L'apographe)، وهي النسخة التي تؤخذ من رواية أخرى فرنسية من أصل يوناني، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص37)، و(الأسطوانة - Kyliindros)، وعرفها باللفافة البردية، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص30)، وهناك الكثير من الكلمات من اللّغات والتّقافات الأخرى، فكيف يمكن للعنوان أن يقتصر على كلمة العربيّ؟

ثمة نقطة يجب التّنبه إليها وهي أنّ هناك فرق بين معجم المخطوط العربيّ، وبين قاموس كوديكولوجي؛ لأنّ المخطوط ليس نفسه الكوديكولوجيا، فهو يعرف المخطوط (**Manuscrit**) بقوله: "الكتاب الذي كتب باليدّ، مصطلح حديث ظهر مع ظهور الكتاب الحديث"، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص320)، فيوحي وصفه معجم المخطوط العربي أنّ المصطلحات التي أوردها منتزعة منها، وهو خلاف الكوديكولوجيا (**Codicologie**)؛ حيث عزّفها بقوله: "علم المخطوط بالمفهوم الحديث وهو دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية، والمصطلح من وضع العالم الفرنسي ألفونس دان (A. Dain) والكلمة مركبة من اللفظة اللاتينية كوديكس أي كتاب ومن اللفظة اليونانية لوغوس بمعنى علم، دراسة، وقد دخلت المعجم الفرنسي في سنة 1959م"، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص202)، ونرى أنّ المؤلفين كانا يقصدان الجزء الثّاني من عنوان كتابهما (قاموس كوديكولوجي) لأنّ نسبة كبيرة من المصطلحات أدوات مادية تتعلّق بالمخطوط ذاته، من أدوات الكتابة، ونوع الورق والخطوط، وطرق صناعته كالتّجليد والتّسفير وغيرها. كما يهتم علم المخطوطات بإظهار شروط الانتاج الأوّلي لكتاب مصنوع بطريقة تقليدية وشرحها، فتدرس مظاهر الصناعة الأوّلية فهو يتجاوز المعاينة المادية للمخطوط، لكشف أساليب الصنع المستعملة (حاك لومير، 2006، 29-30).

2. قراءة في محتوى المعجم:

يعتقد مؤلّف المعجم أنّ جميع الألفاظ اللّغوية التي يستعملها المشتغل بالمخطوط أمّا مصطلحات تخصّ هذا العلم، وفي هذه الرّؤية نظر، تحتاج إلى تمحيص وتحقيق؛ إذ إنّ المصطلح يتطلّب دقّة وخصوصية الفن والعلم، بينما نرى أنّ هذه الألفاظ خاصة بعلوم أخرى غير المخطوط، وهي داخلية في عدّة حقول معجمية مختلفة، بل وربما متباعدة، فتداخل هذه الحقول جعل من هذا المعجم يتعد عن الدقّة الموضوعية فنرى فيه مصطلحات علم الحديث، ومصطلحات علم الخط، وفن الخط، والمصطلحات المعرّبة التي لها بديل في العربية قبل أن توجد هذه المصطلحات عند المستشرقين المشتغلين بالمخطوط العربيّ.

ويحتوي المعجم على أكثر من ألفين (2004) مصطلح، تتقاسمها علوم مختلفة، فمنها ما يختصّ بعلم المخطوط، كالورق وأدوات الكتابة، ونوع الخطوط والزخرفة، ومنها ما يشترك مع علوم أخرى كعلم الحديث والتّفسير والفقه وعلم المكتبات، إضافة إلى مصطلحات كثيرة أجنبية معرّبة لم تُترجم إلى اللّغة العربية، وإتّما وُردت بلفظها الأجنبيّ.

وتضمّ مصطلحات علم المخطوط الكيان المادي للمخطوط؛ المادّة التي يكتب عليها، والأدوات والخطوط، والزخارف والصور، والجلود وأنواعها، كما أورد مصطلحات كثيرة تتعلّق بالفهرسة والضبط الببليوغرافي، من تقنياتها إلى مشكلاتها، كما احتوى المعجم على مصطلحات كثيرة فيما يخصّ الحفظ وصيانة المخطوط، كأساليب التّعيم والتّرميم والتّصوير. ووجدنا أنّ نسبة مصطلحات علم الحديث هي الأعلى، وذلك ما يبرّزه فعلم التّحقيق العربيّ انبثق من علم الحديث.

والسؤال المطروح هل هذا المعجم ضروريّ في عدّة المحقق أم بإمكانه الاستغناء عنه؟ أم أنه يدخل المحقق في متاهات هو في غنى عنها؟ لأنّ الكيفية الإجرائية للتحقيق هي التي بحاجة إلى توضيح وتذليل أمام المحقق المبتدئ. بداية اعترف المؤلفان بنفسهما بتداخل الحقول الدلالية، أو مصطلحات عدّة فنون؛ حيث يقول: "وقد حاولنا جهد المستطاع أن نضع جانباً المصطلحات المتعلقة بالبايوغرافيا، أو علم الخطوط إلّا ما كان مشتركاً بين العلمين، وقد اقتحمنا ميادين تتجاوز مصطلحات المخطوط إلى المصطلحات الخاصة بتقنية صناعة المواد الأساسية كالزرق والمداد فبحثنا في الألفاظ الخاصة بدباغة الجلد، وصناعة الكاغد، وما مائل ذلك"، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص14).

وإدعّا أنّ هذه المصطلحات التي ذكرها غير موجودة في المعاجم اللغوية؛ إذ يقول: "ولن يعثر الباحثون معاني هذه الألفاظ في القواميس اللغوية المتداولة، لأنّ واضعي المعاجم لغويون وليسوا كوديكولوجيون"، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص14)، ويبقى هذا الادّعاء فيه نظر، فمعظم الألفاظ موجودة في معاجم اللّغة، كما سنبينه في الأمثلة الآتية:

- كلمة الكاغد وردت في معجم لسان العرب لابن منظور، يقول: "كغد: الكاغد: مَعْرُوفٌ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ" (جمال الدين ابن منظور، 1998، ص3892)، وكذلك في المعجم الوسيط، الكاغد: القرطاس (مغرب)، (مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، 2004، ص791)، ونرى أنّ المؤلف عمد إلى الأخذ بتعريف المعجم الوسيط، ولكنّه عرّف الكاغد بقوله: "بفتح الغين وكسرهما القرطاس أو الورق، وكان يعمل في غالب الأحيان من الكتان أو القنب، والكلمة صينية كثر استعمالها في المغرب"، (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص287)؛ حيث عاد إلى السمعاني في كتابه أدب الإملاء والاستملاء.

- كلمة المحبرة ذكرت في لسان العرب لابن منظور: "حبر: الحبر: الذي يُكْتَبُ بِهِ وَمَوْضِعُهُ المَحْبِرَةُ، بِالْكَسْرِ. ابْنُ سَيِّدَةَ: الحبرُ المَدَادُ" (جمال الدين ابن منظور، 1998، ص748)، وكذا في المعجم الوسيط "المحبرة وعاء الحبر (ج) محابر"، (مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، 2004، ص152)، ويعود المؤلف إلى كتابي كتاب الكتاب للبغدادي والتلخيص للعسكري، بقوله: "المحبرة: بفتح الميم وكسرهما وقيل المحبرة هي الوعاء الذي يوضع فيه الحبر والليقة (l'encrier) (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص316).

- كلمة العروة وردت في لسان العرب لابن منظور: "عُرْوَةُ الدَّلْوِ والكوزِ ونحوه: مَقْبِضُهُ. وعُرْوَى المَزَادَةِ: آذَانُهَا. وعُرْوَةُ القَمِيصِ: مَدْخَلُ زُرِّهِ" (جمال الدين ابن منظور، 1998، ص2919)، وهو نفس التعريف الذي ذكره المؤلف بقوله: "عروة الشيء مقبضه وهو بالنسبة للكتاب مقبض جلدي، جزء من المشبك (boutonnière) (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص244) وقد عاد إلى كتاب (the Arabic manuscript) لصاحبه كاسيك (gacek).

يحتوي المعجم على الكثير من المصطلحات المعربة التي لها مقابلاتها في العربية كان الأجدر به أن يقدمها بالعربية وليس الاعتماد على التعريب، منها:

- كلمة الأكانثس (**Acanthe**) وهونوع من الورق (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص44).
 - كلمة أبرو (**Abru**) والتي تعني فن تطريز الأوراق أو صبغها، أو ورق مزخرف يستعمل للتجليد وإطارات اللوحات أشهره وأحدثه المخرع (وهي كلمة تركية) (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص29).
 - كلمة البليوغرافوم (**Bibliographum**) وهي الناسخ بالمعنى اليوناني القلم، البليوغرام (**Bibliogram**) "مخطط علاقات النصوص أي العلاقات التي تربط بين المتن وذيلوله، وحواشيه، وتعليقه، ومعارضته وما مائل ذلك، والبليوكرونوغرام (**Biblichronogram**) "المخطط التاريخي لعلاقات النصوص" (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص53-54).

- مصطلح الكوديكولوجيا (**Codicologie**) وهو "علم المخطوط بالمفهوم الحديث وهو دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية" (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص302). وكان الأجدر بحما استعمال المقابل العربيّ دون الحاجة إلى المصطلح الأجنبيّ.

كما يستعمل مصطلح آخر يقرنه بالكوديكولوجيا وهو (وحدة كوديكولوجيا - **Unité Codicologique**) وهي عنده "كتاب أوجزه من كتاب أو مجموعة من الكتب" (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص376).

والمصنّف للمعجم يجد مصطلحات لا حصر لها لم يبذل مؤلفا المعجم جهدهما في البحث عن مقابلها العربيّ، وكأنّ اللّغة العربيّة عقيمة غير قادرة على استيعاب هذه المصطلحات.

- مصطلح (أم الكتاب) يعرفه بأنّه أول سورة في القرآن، وهي سورة الفاتحة (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص47)، وهو موجود في المعجم وبعيد عن علم المخطوط، بل وجدنا ألفاظ خارجة عن نطاق هذه الحقول الدلالية التي قد تدور في فلك المخطوط العربيّ نحو الكلمة أعلاه، وهناك كلمات أخرى، بل وجدنا كلمات تتعلق بعلم الفقه كالإهاب وهو الجلد أو "هو الجلد الذي لم يدبغ جمعه القليل آهبة، والكثير أهب بضمّين، وأهب بفتحين" (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص49) والقول المعروف الرصافي في كتابه الآلة والأداة. وودت في الحديث: "وفي بيت النبيّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَهْبُ عَطْنَةُ أَيُّ جُلُودٍ فِي دِبَاغِهَا، وَالْعَطْنَةُ: الْمَيْبُتَةُ الَّتِي هِيَ فِي دِبَاغِهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: لَوْ جُعِلَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا اخْتَرَقَ" (جمال الدين ابن منظور، 1998، ص162)، وقد جاءت هذه المفردة في الحديث عن باب الطهارة في الفقه في قوله صلى الله عليه وسلم (أيما إهاب دبغ فقد طهر) ويعود في شرحها إلى معاجم حديثة، وترك المعاجم العربيّة القديمة.

وتبقى الكثير من شروح المداخل أكثر غموضا من المداخل في حدّ ذاتها، فزاه على سبيل المثال يشرح (الانخطاط) بكلمة (الانخساف) ثمّ يعرج بعد ذلك بشرح كلمة (الإنخساف) في مداخل أخرى بقوله: "في الكتابة هو المهبوط بالحرف مع التقويس عن مستوى السطر، ويكون عادة في الخط اللين" (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص49)، كما أنّ هناك العديد من هذه الشروح تبقى غامضة، يصعب على الباحث فهمها إلاّ

بالعودة إلى معاجم اللّغة، وهو ما يفقد الوظيفة الأساسية للمعجم، ألا وهي تيسير الوصول إلى مفهوم المصطلح الغامض بأيسر جهد و أسرع وقت.

3. نقد المصادر التي اعتمدها صاحب المعجم:

لا بد أن نقرّ بأنّ معجم مصطلحات المخطوط العربي يمثّل ثمرة جهد الكاتبين اللذين أنجزا الكثير من الدّراسات في هذا المجال؛ حيث استفادا من تخصصهما في علم المخطوط، وكان المعجم محل الدّراسة خلاصة فكرهما، ورغم كلّ هذا إلّا أنّنا نسجل بعض النقاط، خاصة ما تعلق بمصادرها المعرفية في بنائه ومنها:

- يشكّل كتاب تقاليد المخطوط العربي لآدم جاسك المنطلق الأساس لمعجم مصطلحات المخطوط العربي؛ حيث أقرّ المؤلفان في مقدّمة معجمهما على أنّه: "كتاب قيّم بالرغم من إيراد بعض المصطلحات التي نرى أنّها قليلة الارتباط بالمخطوطات وعلمه، ومع ذلك فصاحبه جدير بالثناء لأنّه اقتحم ميداناً جديداً طالما كان موضع إهمال وعدم اكتراث، ولا يفوتنا أن نعتزّف بأنّنا استفدنا منه في وضع المعجم" (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، المرجع نفسه، ص13) ويرى شوقي بنين أنّ معجم جاسك يضمّ مصطلحات لا تمتّ بصلة لعلم المخطوط، كما أغفل الكثير من الكلمات المركّبة والمعجمات العلميّة الدقيقة، وهذا مايفنّده جاسك في كتابه؛ حيث يقرّ بأنّه لم يعن بالمصطلحات التقنيّة المتّصلة بخلط الأحبار واستخدام الصّبغات، وأنّ المصطلحات الموجودة في المعجم جمعها من المصادر المتّصلة الكتب (آدم جاسك، تر: مراد تدغوت، 2010، ص15).

- لم يعتمد الكاتبان على أمانات كتب العربيّة، واعتمدا على مراجع في فنون متفرقة، فزاهما يعتمدان على كتاب الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض، وكتاب تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، ومعجم المصطلحات الحديثية، وغيرها كثير من كتب علم مصطلح الحديث، وهذا في حقيقة الأمر ما يبرّر الكم الهائل من مصطلحات علم الحديث في هذا المعجم، وهذا ما يقرّبه أكثر لأن يصبح معجم مصطلحات علم الحديث.

- اعتمد المؤلفان على مجموعة من كتب علم صناعة الخط، نحو: كتاب التّيسير في صناعة التّفسير (التّجليد) لبكر بن إبراهيم الإشبيلي، ورسالة في الخطّ، ويري القلم لابن الصائغ، والخطّ العربيّ أصوله نخصته، انتشاره لعفيف البهنسي، وغيرها كثير، وهذا يدلّ على وجود كمّ هائل من مصطلحات صناعة الورق، وأنواع الأقلام وغيرها.

- اعتمدا على كتب قواعد الإملاء والتّرقيم، مثل: دلائل الإملاء وأسرار التّرقيم، كتاب في أصول التّرقيم والتّحو لعمر أوكان، وأدب الإملاء والاستملاء لعبد الكريم بن محمد السمعاني، مما يبرّر وجود مصطلحات قواعد الإملاء في هذا المعجم.

- اعتمدا على كتب فن الزخرفة وجماليات الخطّ العربيّ، منها: التّصوير الإسلاميّ في العصور الوسطى لحسن باشا، والخطّ العربيّ والزخرفة الإسلاميّة لمحمود شكر الجبوري، والفنون الزخرفية الإسلاميّة المبكرة في العصرين الأموي والعباسي لعلي أحمد الطائش، وهذا أيضا يدل على اعتماد المؤلف على مصطلحات فن الزخرفة في حشو معجمه.

- اعتمد المؤلفان على كتب البيليوغرافيا (علم المكتبات) منها: دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث لامتيار أحمد، ومعجم المصطلحات المكتبية لمحمد أمين البنهاوي، وتاريخ خزائن الكتب لمصطفى طوجي ومملكة الكتاب تاريخ الطباعة في المغرب لفوزي عبد الرزاق، وكتاب تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة لشاكر أحمد، فلاحظ حشو المعجم بمصطلحات علم الفهرسة والبيليوغرافيا.
- اعتمدا على كتب مناهج تحقيق المخطوط: المخطوط العربي لعبد الستار الحلوجي، ومناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لروزنتال فرانتز، ومدخل إلى علم المخطوط لجاك لومار، وكتاب تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون، ومقالات في علم المخطوط لمصطفى طوي وغيرها، وهذا ما يبرر وجود بعض مصطلحات في مناهج التحقيق، وهي لا تعدو أن تكون ألفاظاً عامة تستخدم في التحقيق، وفي غيره من العلوم ككلمة النسخة، نجدتها في علم الحديث والبيليوغرافيا، وفي التحقيق، وفي المخطوط ذاته.
- بينما نرى في المعجم الاعتماد على أمات المعاجم العربية بشكل محدود، كلسان العرب لابن منظور محمد بن مكرم، وفقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي، وتاج العروس للزبيدي، ومعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهذا ما ينفي قوله في مقدمة المعجم.
- العودة إلى الكلمات التي أتى بها من المعاجم العامة، وعدم عودته للمعاجم الخاصة، ليبرر طرحه على عدم وجودها في المعاجم، وربما يكون قد نحى هذا التوجه لأن المعاجم تزودنا بالمعنى اللغوي، ونحن نعرف أنّ الكلمة يكون لها معنى لغوي قد يختلف لما وضعت لها في الإصطلاح.
- لا نفهم لاستعمالهما لمصادر أدبية عامة، كنفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني.
- اعتماد علوم مختلفة، كعلم الحديث، والفقه، والأدب، وعلم المكتبات...
- ألا يعدّ هذا تكلفاً وتحميلاً هذا العلم مالا يحتمل والجنابة على العلم وأهله.
- ويرى خالد فهمي أن الجهاز الاصطلاحي لعلم المخطوط يتكوّن فيما يسميه بالمصطلحات الرحّالة؛ أي أنّ هناك الكثير من العلوم التي أسهمت في تشكيله، ومن ثمة رصد مجموعة المصادر التي ينبغي الاعتماد عليها في بناء معجم مصطلحات المخطوط العربي، وهي (محمد، خالد فهمي إبراهيم، 2011، ص80):
- كلّ المخطوطات التي وصلتنا عبر تاريخنا الطويل، بأشكالها المختلفة وخطوطها المتنوّعة.
- مصنّفات الفهارس، والرّسم، والكتابة وآلاتها، وصناعة الإنشاء، وكتب المحدثين المسلمين.
- ديوان الكتابة لعنايتها بما يلزم الكاتب من أدوات الكتابة، وطرق البري، وأنواع المداد، وصنوف الخطوط، ككتاب القلقشندي، وابن فضل الله العمري، والنويري وغيرهم.
- المصنّفات المعاصرة في أثر الحضارة العربية وتاريخها، مثل ما كتبه العقاد والمستشرقون.
- المؤلفات المعاصرة في علم المخطوط العربي، والمعاجم المختصّة في التوثيق والتأليف وعلم المكتبات.
- المصنّفات المعاصرة التي تدرس قضايا الترميم والصيانة، وعلم الخط.
- معاجم المصطلحات العربية، كمفاتيح العلوم للخوارزمي، والتّعريفات للجرجاني وغيرهما.

4. المعجم المنشود لمصطلحات علم المخطوطات:

يحتاج المحقق الحصيف في عمله إلى ثقافة موسوعية تشمل المعارف الإسلامية والعربية، فعليه أن يتزوّد بعدّة واسعة من علم الخطّ وأدواته، والكتابة، وأنواع الخطوط وغيرها، ويحتاج إلى علم البيبليوغرافيا خصوصا ما تعلق بالفهرسة والفهارس والإثبات، والأطلاع على علم مصطلح الحديث، وما يتبعه من متابعات ومقابلات ونسخ وترجيح وغيرها، إضافة إلى مصطلحات علم المنطق والتفسير، ومن هذا المنطلق كان ينبغي على المؤلف أن يوجّه هذا المعجم توجيهها آخر، وهو أن يفصل كلّ علم وما تعلق بمصطلحات بما تمس الحاجة إليه من لدن المحقق الذي يغامر في هذا الزخم المعرفي الواسع جدا.

- أشار شوقي بنين في الطبعة الأولى من معجمه إلى أنّ معتمده الأول هو المخطوطات نفسها (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2003، ص2) وفي الطبعة الثالثة أشار إلى أنّ مرحلة التأسيس تدعو إلى الاستقراء المتواصل للمخطوطات ذاتها لاستكشاف المزيد من المصطلحات، بينما المخطوط هو موضوع علم تحقيق المخطوط، لأنّ هذه المصطلحات أدوات للنظر في المخطوط، وليس في تأليف المخطوط في صورته الأولى، فالبحث عن مصطلحات هذا العلم في المخطوط ذاته تحصيل حاصل وخروج منه بغير طائل؛ إذ المعول في هذه المصطلحات هو العلم الذي يدرس هذا المخطوط، وفي مناهج تحقيقه ودراسته التي جاءت لانقاذ المخطوط ونشره وطباعته، فعلم المخطوط في جميع جوانبه عدا محتواه، وقد عدّد السلوجي ستّ دعائم أساسية وهي (عبد الستار الحلوجي، 2004، ص16-17):

- 1- تاريخ المخطوط منذ بدايته حتى آخر مخطوط وصلنا.
 - 2- الكيان المادي للمخطوط، أي التعامل على أنّه مادة، بداية بالأدوات التي كتب بها من أقلام والخطوط والزخارف والصور التي تضمنها، ونوع الجلود.
 - 3- تقييم المخطوط، بهدف توثيق النسخ للحكم على صحته.
 - 4- الحفظ والصيانة وأساليب التعقيم والتّرميز والتّصوير.
 - 5- الفهرسة والصّبط البيبليوغرافي، ويدخل فيه تقنيات الفهرسة ومشكلاتها.
 - 6- التّحقيق والنّشر.
- إضافة المقابل الأجنبي للمصطلح العربيّ، فالمؤلف استدرك بعض الهنات التي وقع فيها في الطبعة الأولى كما أشار إلى ذلك في مقدمة الطبعة الثالثة، ومن أهم ما جاء به هو إيراده للمصطلحات العربية وما يقابلها باللّغة الفرنسيّة.
- الاقتصاد في المداخل المعجميّة؛ حي لاحظنا في معجم مصطلحات المخطوط العربيّ تكرارا لعدة كلمات في مداخل مختلفة تندرج في مدخل واحد مثل: (التابوت، البيت)، وهذا ما ساهم في تضخيم المعجم، ويشرح التّابوت (Reliquaire) بأنّه علبه خشبية توضع فيها نسخ القرآن الكريم، جمعها توابيت وهي كلمة (سريانية)، أمّا البيت فهو صندوق تجمع فيه أجزاء المصحف ويسمى أيضا تابوت (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص63-65).

وكذلك كلمة الخزانة نجدها في المعجم هي مكتبة (Bibliothèque) ويشرح مصطلح المكتبة في مكان آخر من المعجم بأنها مكان بيع الكتب والأدوات الكتابية، ويضع مقابلها الأجنبي (Librairie) (أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، 2005، ص347)، كل هذا يساهم في تشتيت ذهن الباحث في علم المخطوط، نظرا لتعدد المدخل لمفهوم واحد، أو اختلاف المفاهيم لمدخل واحد.

- عرض المادة على اعتبار الموضوع أو الباب أو المعنى، لأنّ المعاجم المتخصصة تختلف عن غيرها من المعاجم اللغوية، فهي تسعى لإمداد الباحث بلفظ لمعنى يهتم في ذهنه، وليس إلى شرح ألفاظ غامضة (محمود سليمان ياقوت، 2002، ص20)، ويأتي الترتيب الألفبائي في ترتيب المصطلحات داخل كل موضوع.

- لما كان معجم مصطلحات المخطوط العربي، يعدّ من المعاجم المختصة التي تهتمّ بمصطلحات علم من العلوم، أو فرع من فروع المعرفة المختلفة، وشرح وتفسير ألفاظها، فينبغي على واضعها الاهتمام بما يلي (الحمد علي توفيق، 2003، ص77):

- 1- ترتيب المادة الاصطلاحية في المعجم، لتسهيل الاستفادة منها من قبل الباحثين.
 - 2- العودة إلى المعاجم القديمة المتخصصة، وكتب الاصطلاحات.
 - 3- الإحاطة بالنظريات المصطلحيّة، وشروط وضع المصطلح، وعلوم التخصص المختلفة للمعجم.
- استثمار إجراءات المناهج الغربيّة في صناعة معاجم مصطلحات المخطوط العربي، والابتعاد عن الإقحام العشوائي لمفاهيم العلوم الأخرى التي تترك دون شك مستعمل المعجم، والاكتفاء بما يساهم في تزويد الباحث بالعدّة اللازمة أثناء الاشتغال بالمخطوط.

الخاتمة:

إنّ انتقادنا لمعجم مصطلحات المخطوط العربي لا يستهين بالجهد الذي بذله المؤلفان، باعتباره أوّل معجم عربي متخصص في المخطوط، وإنّما كان هدفنا إبراز بعض النقائص في المعجم؛ الذي وإن كان يمثّل محطة مهمة، فإنّه يبقى بحاجة إلى ضبط أكثر، يعتمد على المناهج العلمية في الصناعة المعجميّة، والدقّة في اختيار المصطلح العلميّ.

وإنّ وضع معجم لمصطلحات المخطوط العربي يتطلّب فهماً عميقاً، وثقافة واسعة، وتبحراً في علوم مختلفة تربط ارتباطاً وثيقاً بعلم المخطوط، وهو ما يستلزم تظافر الجهود، من مؤسسات علمية وهيئات تأخذ على عاتقها وضع مثل هذا النوع من المعاجم، ويعدّ وضع معجم يحصر مصطلحات المخطوط العربي فقط دون غيره من الثقافات والحضارات، التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين التراث العربي مخاطرة تقصي الكثير من تراثنا العربيّ الذي ساهمت في تكوينه عقول عربيّة وغير عربيّة.

قائمة المراجع:

- 1- ابن منظور، جمال الدين. (1998). لسان العرب. (تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون). القاهرة: دار المعارف.
- 2- بنين؛ أحمد شوقي؛ ومصطفى، طوي. (2005). معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي). الرباط: الخزنة الحسنية الرباط.
- 3- جاسك، آدم. (2010). تقاليد المخطوط العربي معجم مصطلحات وبليوجرافية (ترجمة مراد تدغوت). القاهرة: معهد المخطوطات العربية.
- 4- الحلوجي، عبد الستار. (2004). نحو علم مخطوطات عربي. القاهرة: دار القاهرة.
- 5- الحمد، علي توفيق. (2003). المعجم المختصّ في التراث العربي قراءة في المادة والمنهج. مجلّة جامعة الخليل للبحوث، 2، 63-83.
- 6- خالد فهمي إبراهيم، محمد. (2011). معاجم مصطلحات علم المخطوطات العربي وقيمتها الحضارية. مجلة الفهرست، 35، 79-86. مصر: دار الكتب والوثائق القومية مركز الخدمات البليوجرافية.
- 7- ديروش، فرانسوا. (2005). المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي (ترجمة أيمن فؤاد سيّد). لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
- 8- رشاد الحمزاوي، محمد. (1986). من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا. تونس: دار الغرب الإسلامي.
- 9- لومير، جاك. (2006). مدخل إلى علم المخطوط (ترجمة مصطفى طوي). المغرب: المطبعة والوراقة الوطنية.
- 10- مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. (2004). المعجم الوسيط. (ط4). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- 11- محمد أبو سكين، عبد الحميد. (1981). المعاجم العربية مدارسها ومناهجها. القاهرة: الفاروق الحرفية للطباعة والنشر.
- 12- ياقوت، محمود سليمان. (2002). معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث. مصر: دار المعرفة الجامعية.